

الكتابة بين المسؤولية والرغبة والإنفعال



بقلم : الشيخ عماد مجوت

قد نستشعر احيانا المسؤولية التي تدعونا الى الكتابة، ولكن هذا لا يعني أن ما نكتبه يكون مسؤولاً؛ فهناك فرق بين استشعار المسؤولية وبين أن يكون ما نكتبه مسؤولاً.

#فما لم يكن ما نكتبه ناشئاً عن وعي وبصيرةٍ وضوابط قانونية لذلك الكلام سواء كانت شرعية ام عرفية، فإن استشعارنا للمسؤولية لا يكون مغنياً عما يسببه ما نكتب من مخالفات شرعية و إرباك إجتماعي.

ما نراه اليوم مثلاً من كتاباتٍ تدخل في ضمن تخصصات الفقهاء وابداء لأحكام شرعية على ضوئها، أو تصوير هذا الفعل بالشرعية وعدمها، وان هذا الفعل ليس هكذا وينبغي ان يكون هكذا، فإنه وإن كان في واقعه استشعاراً للمسؤولية لكنه ليس كلاماً مسؤولاً لان الكاتب ليس اهلاً لأن يبدي رأيه في مثل هذه المواضيع.

وهذا كما أنه لا يكون منتجاً من هذه الجهة، كذلك يكون موجباً للخروج عن الإستقامة من جهة من جهةٍ أخرى؛ لأنه تناول ما ليس له.

والقرآن الكريم تحدث في موارد متعددة، عن الإلتزام باللوازم المترتبة على تناول ما ليس من مختصات الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. فما لم يكن من مختصات الإنسان وداخل تحت احاطته العلمية يكون تجنباً منها عنه.

بل قد يصل إلى حد الدخول في حد الافتراء كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَيَّ اللَّيْلَ الْكَذِبَ إِنَّ السَّادِّينَ يَفْتَرُونَ عَلَيَّ اللَّيْلَ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]. وربما جرى على اللسان بإندفاع الشعور بالمسؤولية ولكنه كبير عند الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّ سَوْزَةَ بِرَأْسِنَا تَقُولُونَ بِرَأْفِوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّيْلِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. ومن هنا كانت لهجة: ﴿وَقَفَّوهُمُ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. نبرة الصوت المقرع لمن لا يلتفت إلى ذلك، مسؤولية تقف على كل حرف يكتبه الإنسان: ﴿إِذْ يَتَلَفَّسُ الْمُتَلَفِّسِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

هذا كله من جهة الشعور بالمسؤولية، بل حتى مع الشعور بالمسؤولية و كون الكلام مسؤولاً ينبغي ان لا

يكون ردة فعلٍ مقابلةً لفعالٍ؛ فمن يوجه لك انتقاداً لا ينبغي أن ترد عليه بردة فعلٍ، ولا أن من يختلف معك لا بد أن تردده بردة فعلٍ وان كان كلامه غير مطابق للواقع أو كان فيه تجاوزاً عليك؛ لأن عنصر الأخلاق هو العنصر الشامي الذي ينبغي ان يتعالى حتى على القانون: [إِنْ اللَّاهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] [النحل: ٩٠]. حيث كان الإحسان اوسع من العدل، لأنه معيار أخلاقي.

بل هو ما جسده سيرة الأنبياء عليهم السلام، فأى تجاوز أكبر من قولهم لشعيب عليه السلام استصعافاً له: [قالوا يا شعيب ما نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَدْرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ]. ولكنه عليه السلام لم يتعامل بردة فعل، بل تعالَى عن ذلك بقوة منطقته ومعياره الأخلاقي في التعامل: [قالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعْزُمُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّاهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ اعمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] [هود: ٩١-٩٣].

بل أحياناً قد تصل طريقة الاستخفاف الى حد تجاوز كل آداب الحوار في إستعمال المفردات ، كما في قولهم لهود عليه السلام: [قالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَدْرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ]، فأى فضاضة أكبر من هذه، ولكنه لم يقابلهم بردة فعل، بل واجههم بكل برودة أعصاب، بقوله: [قالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ] [الأعراف: ٦٦-٦٧].

فالخاتمة أنا نحتاج مع استشعار المسؤولية في الكتابة أن تكون كتابة مسؤولة، وأن تكون كتابة خاليةً عن ردة الفعل، حينها تكون الكتابة مرضية عنده تعالى.